العرب
الإثنين 2021/10/04
السنة 44 العدد 12199

أيّ مستقبل للجيش الأميركي ما بعد أفغانستان

البنتاغون لن يوقف سباق التسلّح وتدخله العسكري في العالم

أثار خروج الجيش الأميركي من أفغانستان تكهنات وقراءات لتوجهاته المستقبلية وما إن كان سيراجع استراتيجية تدخله في العديد من الدول ضمن خطته للحرب على الإرهاب التي بدأها منذ نحو عشرين عاما، وكيف سيتعامل البنتاغون مع المنافسة العسكرية وسباق التسلّح العالمي الذي يبدو في أوجه، فيما يبدو أنه مقبل على حرب مع الصين تتكافأ فيها موازين القوى.

واشنطن – أشار يودا، وهو أحد أسياد الجيداي في سلسلة أفلام حرب النجوم، ذات مرة إلى أنه يصعب جدًا أن نُبصر المستقبل كما يصعب إنكار تبصّره.

ومع ذلك، يرى ويليام أستور، وهو مقدم عسكري متقاعد وأستاذ التاريخ في تقرير لموقع توم ديسباتش، أن يودا كان مخطئا تماما عندما يتعلق الأمر بالجيش الأميركي وحروبه. فمن السهل جدا تخيل هذا الجزء من المستقبل. ويتضمن المزيد من الأسلحة التي تخرق ميزانية البنتاغون والمزيد من التدخل العسكري في جميع أنحاء العالم، ربما هذه المرة ضد المنافسين الصين وروسيا، وحرب عالمية على الإرهاب لن تنتهي أبدا.

لا فرصة للسلام

من الأسهل رؤية أن السلام لن يُمنح أي فرصة على الإطلاق، لأنه فقط ليس في مصلحة المجمع العسكري – الكونغرسي –الصناعي الأميركي شديد النفوذ.

ويقول أستور "عندما يتبادر إلى ذهني هذا المجتمع الضخم، الذي حذرنا منه الرئيس دوايت أيزنهاور منذ حوالي ستة عقود، لا يسعني إلا التفكير في أغنية من السنوات الأخيرة من الحرب الباردة التي كان يبدو أنه لا نهاية لها".

ويتساءل المحلل الأمني عما إذا كان المستقبل يمكن أن يكون بالفعل مشرقا بسبب حرب نووية، بالنظر إلى شغف الجيش الأميركي بمثل هذه الأسلحة، ويقول "سمعت ذات مرة مصطلح الثالوث النووي ليس الثالوث المقدس، والذي كان له صدى في نفسي لنشأتي الكاثوليكية. ومع ذلك، يبدو أنه مقدس بدرجة كافية في البنتاغون، حيث تخطط القيادة العليا هناك بالفعل لتمويل ما يسمى بتحديث الترسانة النووية الأميركية لتصل قيمتها إلى 1.7 تريليون دولار على الأقل خلال الثلاثين عاما القادمة. بالنظر إلى احتياجات هذه الأمة الفعلية، فإن هذا الرقم يذهلني".

ما هو هذا الثالوث الذي يتعامل معه المجمع باعتباره ثالوثا مقدسا؟ هو يتألف من صواريخ بالستية عابرة للقارات، القاذفات القادرة على الضرب بالنووي مثل بي 1 وبي 2 وبي 5، والصواريخ البالستية التي تُطلق من الغواصات.

وأشار أستور إلى أنه نظرا لترسانة واشنطن النووية الهائلة الحالية، ليست هناك حاجة استراتيجية لبناء صواريخ بالستية عابرة للقارات جديدة بسعر هائل. بل يجب إخراج تلك التي تمتلكها القوات الجوية حاليا من الخدمة، باعتبارها "القدم" الأكثر ضعفا في الثالوث.

كما لا توجد حاجة استراتيجية لقاذفة قنابل ثقيلة جديدة باهظة الثمن مثل نورثروب غرومان بي21– رايدر المقترحة من سلاح الجو. وتعدّ الغواصات النووية الأميركية من فئة أوهايو والتي لا تزال تجوب محيطات العالم والمسلحة بصواريخ ترايدنت أكثر من قادرة على "ردع" أي خصم يمكن تصوره في المستقبل البعيد، حتى مع احتمال أن تمنح البشرية فرصة قوية للانتحار الجماعي عبر شتاء نووي مستقبلي.

لكن السبب ليس الحاجة، كما قال شكسبير ذات مرة على لسان الملك لير. ركز بدلا من ذلك على الأرباح التي ستُجنى من خلال بناء قنابل نووية "حديثة".

ونظرا لكون القوات الجوية تصرخ للحصول على صواريخ وقاذفات نووية جديدة، فهناك أيضا سعي مستمر للحصول على المزيد من الطائرات المقاتلة، بما في ذلك الطائرات باهظة الثمن، والتي تتميز بأداء ضعيف بشكل واضح مثل أف – 35، "فيراري" الطائرات المقاتلة.

وإذا حصل الجيش على جميع الطائرات التي يريدها، أضاف 1.7 تريليون دولار أخرى إلى تكلفة الدفاع الوطني. وفي نفس الوقت، تسعى هذه الخدمة إلى الحصول على مقاتلة متعددة المهام جديدة "منخفضة التكلفة" حتى أثناء متابعتها لفكرة مقاتلة من "الجيل السادس" أكثر تقدما (والأغلى) من طرازات الجيل الخامس مثل أف – 22 وأف – 35.

وإذا استمر الكونغرس والرئيس جو بايدن في جرف تريليونات الدولارات نحو الجيش وأتباعه في المعسكر، فلا تتوقع سوى شيء واحد: سيجدون طرقا أحدث للإنفاق على أي شيء من أسلحة الفضاء للروبوتات المرافقة.

وتكمن النقطة المهمة في أن تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي والحوسبة الكمومية تبدو جذابة للغاية من الناحية المستقبلية، ولهذا السبب سوف تُستخدم بلا شك لتبرير طلبات الميزانية المستقبلية باهظة الثمن التي يتقدّم بها البنتاغون.

وفي هذا السياق، يتساءل أستور "ألا تجد من المذهل كم أنفق الجيش في أفغانستان على القتال وكيف خسر أمام وحدات طالبان الصغيرة غير المسلحة بشكل كاف؟ فشلت أكثر من تريليوني دولار لشن حملة مكافحة التمرد فشلا ذريعا. وتخيل لو كان على الولايات المتحدة حقا، في العقد أو العقدين المقبلين، محاربة منافس شبه نظير مثل الصين. وحتى لو انتصر الجيش الأميركي في المعارك بطريقة ما، فإن هذه الأمة ستهوي بلا شك إلى الإفلاس والدمار المالي وستكون كارثة لكوكبنا المهدّد بالانقراض. ويمكن أن يصبح الأمر سيئا للغاية لدرجة أنه حتى جيف بيزوس وإيلون ماسك قد يضطران إلى دفع ضرائب أعلى، إذا لم يتخليا بالفعل عن روابط الأرض المؤلمة للاختلاط بالنجوم المتلألئة.

وإذا كان الإنفاق العسكري الأميركي على الحرب على الإرهاب بعد 11 سبتمبر، بما في ذلك الحرب في أفغانستان والعراق، قد وصل بالفعل إلى مبلغ لا يمكن تصوره وهو 8 تريليون دولار، كما يقدر مشروع تكاليف الحرب في جامعة براون، تخيل كم ستكلف الحرب الحقيقية التي تضم سلاح الجو، والأسطول، والكتائب الكبيرة، والمعارك الكبرى هذا البلد.

حرب متكافئة

تظهر فكرة أن هذا البلد يواجه حربا باردة جديدة محفوفة بالمخاطر يمكن أن تصبح ساخنة في أي لحظة، هذه المرة مع الصين، في أماكن غير عادية. تأمل في هذا المقطع الذي كتبه دكستر فيلكينز، مراسل الحرب المعروف، والذي ظهر مؤخرا في صحيفة نيويوركر:

"لقد أمضينا عقودا نخوض حروبا غير متكافئة، ولكن هناك حرب متكافئة تلوح في الأفق الآن. لم تواجه الولايات المتحدة أبدا خصما بقوة الصين: إن الناتج المحلي الإجمالي الصيني هو، من خلال بعض المقاييس، أكبر من الذي سجّلناه في بلدنا، وأفراد الجيش الصيني في الخدمة الفعلية أكبر من جيشنا، وأنظمة أسلحته تتوسع بسرعة. يبدو أن الصين مصممة على تحدي الوضع الراهن، ليس فقط الوضع الإقليمي، ولكن سقالات القوانين الدولية التي تحكم الكثير من العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية في العالم. إذا اقتربت نهاية حربين أبديتين، فقد تنتظرنا حرب باردة جديدة".

وبناء على ما سبق، يقول أستور "إن حربا جديدة تلوح في الأفق. ولدى خصمنا أموال أكثر وقوات أكبر منا ويبحث عن أسلحة أفضل. وتريد قيادته تحدي الوضع الراهن والقوانين الدولية".

ويتساءل أستور ما الذي يميز هذا البلد الذي يجعل قادتنا يستمتعون بانتظام بتضخيم التهديدات لرفاهيتنا؟ أرباح الحرب، بالطبع، بالإضافة إلى أنواع الأخطار التي يبدو أنها تبرر جيشا أكبر من أي وقت مضى. ومع ذلك، فقد اقترحت على صديقي أن تضخيم مثل هذه المخاطر لم يولد إحساسا بالوحدة الوطنية، على الرغم من أنه، على الأقل، قد أدى إلى إلهاء كبير عما لا يزال يُطلق عليه الحرب الطبقية. كما أنها تقدم للأقلية الأقوى والحكام الفاسدين لدينا المزيد من الفرص لنهب أموال دافعي الضرائب.

وعلى الرغم من التغطية الشاملة الأخيرة في الذكرى العشرين لأحداث الحادي عشر من سبتمبر حول كيف وحدتنا تلك اللحظة في الرغبة في الانتقام، فإن حروبنا لم تجمع الأميركيين معا.

وبعد عشرين عاما من بدء الحرب على الإرهاب وحتى مع انتهاء الحرب في أفغانستان على ما يبدو، يظل معظم الأميركيين معزولين بشكل ملحوظ عن صراعات هذا البلد وما يعتبر "دفاعا وطنيا". الحقيقة القاسية الأولى هي أن أميركا إمبراطورية جامحة. الثاني: يجب أن نوحدها ونفككها بطريقة ما قبل أن تفككنا.

ويوجه أستور رسالة إلى زملائه المواطنين الأميركيين مفادها: توقفوا عن مكافأة البنتاغون والجنرالات والأدميرالات الفاشلين بالمزيد من الأموال عوضا عن تحميلهم المسؤولية عن كوارثهم في أفغانستان والعراق وليبيا والصومال وأماكن أخرى. وانتبهوا أكثر للأحداث الجارية. وابحثوا عن وسائط بديلة. واعرفوا متى يتم خداعكم (تلميح: أي حرب في مكان بعيد بالكاد تسمعون عنه).

ندرك أن الحروب في ماضينا القريب كانت كوارث، وأن تقارير "التقدم" كانت صورية، وأن الخزانة الوطنية تتعرض للنهب باستمرار أمام أعيننا. بعبارة أخرى، تم إفراغ محفظتك لشراء المزيد من الرصاص والقنابل لقتل أشخاص في جميع أنحاء العالم من ذوي البشرة السمراء والسود، أو اقتلاعهم، ممن شكلوا لك تهديدا ضئيلا بل وحتى ممن لم يتسبب لك في أي ضرر.

ومع ذلك، قد يكون بعض هؤلاء الأجانب أنفسهم غاضبين الآن ويفكرون في قدر من الانتقام، وهو في الأساس تعريف لرد الفعل، كما حذرنا تشالمرز جونسون قبل 11 سبتمبر. ويجب على شخص ما كسر دائرة العنف التي لا تنتهي في القرن الحادي والعشرين. لماذا لا نفعل ذلك؟

ويضيف أستور أن الجشع ليس جيدا، خاصة عندما يكون مدفوعا بالأرباح من الأسلحة التي يمكن أن تقضي حرفيا على الحياة على الأرض. لنتذكر كلمات الرئيس أيزنهاور بأن الإنفاق على الحروب والسلاح يمثل سرقة من الجياع. يسرق قادة الولايات المتحدة من مستقبل أطفالك وأحفادك لبناء المزيد من الأسلحة وخوض المزيد من الحروب.

واشنطن لن تتراجع عن خوض الحروب

> **بعد عشرين عاما من الحرب على الإرهاب يظل معظم الأميركيين معزولين بشكل ملحوظ عن صراعات بلدهم**

لذلك، ربما كان يودا على حق بعد كل شيء. يصعب رؤية المستقبل. إنه دائما في حالة حركة. السؤال هو: هل لدينا الشجاعة على الاتحاد والسير في اتجاه جديد؟ لماذا لا نضع مسارا جديدا للسلام ونعيد تشكيل ديمقراطيتنا خلال هذه العملية؟

هذا أفضل بالتأكيد من المستقبل الذي يشمل أسلحة وحروبا أكثر من أي وقت مضى، وأملا أقل بكثير.

إيران المسلحة نوويا أشد خطورة من أي وقت مضى

واشنطن – تحذر تقارير الاستخبارات العسكرية الأميركية والأوروبية من التجارب النووية الناجحة لكوريا الشمالية التي تواصل تمردها في مواجهة العقوبات الدولية، لكنها تعتبر أن إيران التي تتوزع ميليشياتها في دول عديدة قد تكون أشد خطورة من كوريا الشمالية في حال امتلكت سلاحا نوويا.

وصعَّدَ النظام الإيراني من وتيرة تخصيب اليورانيوم منذ تنصيب الرئيس الأميركي جو بايدن يناير الماضي، ومنذ ذلك الحين تعالت الأصوات المحذرة من قرب امتلاك طهران أسلحة نووية مما يجعلها ووكلاءها المخربين في الشرق الأوسط أشدّ خطورة على الأمن القومي من أي وقت مضى.

وكانت صحيفة "نيويورك تايمز" الأميركية ذكرت منتصف الشهر الماضي أن إيران "على مسافة شهر تقريبا من إنتاج وقود لصنع سلاح نووي واحد".

وترى واشنطن وحلفاؤها الأوروبيون أن هذه الخطوة تهديد لمحادثات إحياء اتفاق 2015 النووي، الذي قيّد أنشطة إيران النووية مقابل رفع العقوبات الدولية عنها.

وبعد الانتخابات الرئاسية الإيرانية في يونيو وتغيير الحكومة في طهران، تم تعليق المفاوضات بشأن إنقاذ اتفاق فيينا النووي، بعد أن استؤنفت في أبريل، ومن المنتظر أن تستأنف مجددا خلال الشهر الجاري.

النووي الإيراني خطر محدق بالشرق الأوسط

ويقول المحلل السياسي مجيد رفيع زاده رئيس المجلس الدولي الأميركي للشرق الأوسط، في تحليل نشره معهد جيتستون الأميركي، إن النظام الإيراني يقترب من نقطة فارقة على مسار امتلاك أسلحة نووية، ويرى أن إدارة بايدن لا تملك أجندة واضحة بشأن منع ملالي إيران من ذلك.

ويؤكد رفيع زاده أنه لا ينبغي التهوين من شأن التهديدات التي قد تمثلها "إيران المسلحة نوويا".

ولطالما هدد النظام الإيراني بمحو دولة إسرائيل من على الخارطة، كما أن تدمير الدولة اليهودية ركيزة أساسية في إيران.

كما أشار قائد الحرس الثوري الإيراني الجنرال حسين سلامي بوضوح شديد إلى خطط النظام الإيراني عندما قال للقناة الثانية بالتلفزيون الإيراني الحكومي "استراتيجيتنا هي محو إسرائيل من الخارطة السياسية للعالم".

كما نشر خامنئي دليلا من 416 صفحة بعنوان "فلسطين"، يتحدث فيه عن تدمير إسرائيل.

وتستند المؤسسة الدينية في إيران على أولوية السعي لتحقيق المثل الثورية، ومن بينها تصدير نظام الحكم الإسلامي إلى دول أخرى في أنحاء العالم. وهذه المهمة الرئيسية يتضمنها دستور البلاد.

ومنذ عام 1979 تمكن قادة إيران من خلال نشر قوات الحرس الثوري الإيراني، ووحدة النخبة بها، فيلق القدس، من توسيع نفوذ طهران في الشرق الأوسط، من اليمن إلى لبنان، وسوريا وقطاع غزة، عبر جماعات تعمل بالوكالة لحسابها، بما في ذلك ميليشيا الحوثيين وحزب الله وحركة حماس وقوات الحشد الشعبي العراقي، وهي عبارة عن أكثر من 40 جماعة ميليشيا في العراق.

كما أن هناك احتمالا خطيرا من أن تقع الأسلحة النووية في يد الجماعات والميليشيات التابعة لإيران، أو أن يتقاسم النظام الإيراني التكنولوجيا النووية مع وكلاء أو حلفاء مثل النظام السوري أو حركة طالبان في أفغانستان.

وبحسب رفيع زاده، يقوم النظام الإيراني بالفعل ببناء مصانع لإنتاج الأسلحة خارج البلاد، وإنتاج صواريخ باليستية وأسلحة متقدمة في دول أخرى، بينها سوريا.

ويتساءل المحلل إذا كان النظام الإيراني يزود وكلاءه والميليشيات التابعة له بالأسلحة المتقدمة، ما الذي يمنعه إذن من تقاسم التكنولوجيا النووية معهم لتمكينهم من أجل تقويض مصالح الأمن القومي لأعداء طهران، وتوسيع نطاق المجال الذي يمكن أن تصل إليه؟

وأشار الباحث الأميركي إلى أحدث تقرير سنوي صدر هذا العام للأمم المتحدة والذي كشف أدلة متزايدة على أن الحوثيين يتلقون كميات ضخمة من الأسلحة من أفراد وكيانات في الجمهورية الإسلامية.

وعلى مدار سنوات طويلة، صنفت الولايات المتحدة إيران "دولة راعية للإرهاب"، كما أصدر القضاء البلجيكي حكما نهائيا في وقت سابق العام الجاري بالسجن 20 عاما بحق دبلوماسي إيراني يدعى أسدالله أسدي، لإدانته بالتخطيط لهجوم كان من المفترض أن يستهدف تجمعا للمجلس الوطني للمقاومة الإيرانية قرب باريس في عام 2018.

مجيد رفيع زاده

إيران ستصبح أكثر عدوانية وجرأة لو امتلكت أسلحة نووية

وبالإضافة إلى ذلك، قامت دول عدة، بينها الكويت، باعتقال إيرانيين حاولوا التسلل إلى داخل البلاد. وتم كشف النقاب عن أن طهران تستخدم سفاراتها وقنصلياتها في الخارج من أجل تحقيق مثل هذه الأهداف.

ويشير رفيع زاده في تحليله إلى أن الإيرانيين داخل بلادهم ليسوا أحسن حظا، واستشهد في ذلك وبشكل مطول بتقرير منظمة العفو الدولية للعام 2020 الذي ذكر أن السلطات قمعت بشدة الحق في حرية التعبير، وحرية تكوين الجمعيات أو الانضمام إليها، وحرية التجمع. وأن قوات الأمن استخدمت القوة غير المشروعة لسحق الاحتجاجات.

بالإضافة إلى الحجز التعسفي لـ"المئات من المتظاهرين والمعارضين والمدافعين عن حقوق الإنسان"، وكذلك أصدرت السلطات أحكاما بالسجن والجلد على كثيرين منهم. وواجهت النساء والفتيات، وكذلك الأقليات العرقية والدينية، تمييزا مجحفا شديدا، فضلا عن العنف.

ويتساءل رفيع زاده: إذا كانت هذه هي الطريقة التي تعامل بها القيادة الإيرانية مواطنيها، فكيف لأي شخص أن يعتقد أنها ستعامل من تتصور أنهم أعداؤها على نحو أفضل؟ وطرح سؤالا، ردده آخرون: هل لو كان الزعيم النازي هتلر امتلك سلاحا نوويا، كان سيتردد في استخدامه؟

وفي الختام يقول رفيع زاده إنه لو حدث وامتلك النظام الشرس في إيران أسلحة نووية، يمكن للمرء أن يتخيل كيف سيصبح هذا النظام أكثر عدوانية وجرأة. فبمجرد أن يمتلك هؤلاء القادة أسلحة دمار شامل، ستكلف محاولة إيقافهم حياة كثيرين وأموالا باهظة. وقد لا تكون إيران في حاجة لاستخدام أسلحتها النووية، فالتهديد أكثر من كاف.